

## فصل

في بيان أن الزواج من المطلقة أو الأرملة  
لا ينافي الغيرة

يرى كثيرٌ من أهل الزمان أن الزواج من المطلقة أو الأرملة ينافي الغيرة، وأن الرجل إذا لم يسبق له الزواج وتزوج بامرأة مُطلّقة أو أرملة يُعدُّ سافل الهمّة، ساقط المروءة.

وهذا غلطٌ بيّنٌ، وخطأٌ فاحشٌ، وللأسف الشديد أن هذا الفهم، وهذا التّصوّر تلوّث به أذهان الكثير ممن نتوسّم فيهم الخير والصّلاح، ونعدهم ممن يُخالفون العادات والتقاليد السائدة، وممن يُحاربون أعراف الجاهلية الفاسدة.

وقد يرى البعض أن طلاق المرأة يُعدُّ عيباً مُشيناً

يُنْقَصُ مِنْ مَكَانَتِهَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ مَظْلُومَةٌ وَذَاتُ دِينٍ وَصَلَاحٍ.

وَيَسْتَدِلُّ الْبَعْضُ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ بِامْرَأَةٍ سَبَقَ لَهَا الزَّوْجَ مِنْ قَبْلِ يُنَافِي الْغَيْرَةَ بِقِصَّةِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ اعْتَذَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَعْدِ بَأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْغَيْرَةِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ امْرَأَةً إِلَّا بِكُرًّا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً فَجَرَّؤُ أَحَدًا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا.

وَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ، فَلَقَدْ قَالَ: مَا احْتَجَّ بِمَبْطُلٍ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ إِلَّا كَانَ فِي نَفْسِ الدَّلِيلِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ.

فَنَقُولُ: أَوَّلًا - هَذَا الَّذِي قَالَهُ الصَّحَابَةُ كَانَ حِكَايَةً عَنْ حَالِ سَعْدِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَا حَالَهُ فِي الْإِسْلَامِ.

ثَانِيًا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَقَّبَ عَلَيَّ كَلَامَهُمْ بِقَوْلِهِ:

«أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني» .

فكان النبي ﷺ أشدّ غيرة من سعد، ومع ذلك تزوّج أوّل ما تزوّج بامرأة قد سبق لها الزواج من قبل، وهي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكان يحبها ويفضلها على نساءه كلهن، وكان كثيراً ما يذكرها بعد موتها، حتّى غارت عائشة منها، كما روى مسلم عنها أنها رضي الله عنها قالت: «ما غرت للنبي ﷺ على امرأة من نساءه، ما غرت على خديجة؛ لكثرة ذكره إياها، وما رأيتها قط» .

ولم يتزوج النبي ﷺ عليها حتّى ماتت كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أيضاً أنها قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتّى ماتت» .

وتزوّد النبي ﷺ أيضاً بامرأة مُطلّقة وهي زينب

بنت جحش، والذي زوجته إياها هو رب العالمين من فوق سبع سماوات، وأنزل الله في كتابه أن زيدا قضى منها حاجة، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ولم ير النبي ﷺ في ذلك غضاضة ولا حرجاً مع أنه كان يرى زيدا دائماً، بل كان زيداً من أحب الناس إليه كما كان ابنه أسامة من أحب الناس إليه من بعده، فلقد جاء عن ابن عمر أنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة ابن زيد، فطعن الناس في إمرته، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن كنتم تطعنون في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليقاً للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ من بعده» [رواه مسلم].

ولقد فعل كثير من الصحابة مثل هذا ولم يروا فيه

حرجاً ولا منقصة لهم، فها هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه تزوج أول ما تزوج بأيام كانت بالمدينة.

ولما توفي جعفر بن أبي طالب عن أسماء بنت عميس تزوجها أبو بكر من بعده، فلما توفي عنها أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب.

ولما توفي محمد بن أبي بكر عن عاتكة تزوجها عمر بن الخطاب - وكان شديد الغيرة - ولما توفي عنها تزوجها الزبير بن العوام، وكان الزبير يغار عليها غيرة شديدة، حتى أنه كان يكره أن تذهب إلى الصلاة في المسجد، فتخبأ لها ذات يوم، ووضع يده عليها، فأسرعت راجعة إلى البيت، وسبقها هو، فقال: ما الذي أرجعك؟ قالت: كُنَّا نخرج والناسُ ناس، أما الآن فلا. ولم تخرج بعدها.

وها هو معاوية بن أبي سفيان عندما توفي أبو

الدرداء، أرسل إليّ أمّ الدرداء يخطبها - وكان أمير المؤمنين إذ ذاك - فقالت: يا معاوية، ما مثلك يرد، ولكنني عاهدتُ أبا الدرءاء ألا أتزوج بعده.

ولو أراد معاوية بكراً لوجد الكثير، ولكنه كان يريد أن يلحق هذه المرأة الشريفة عالية القدر بنسائه. والمقصود من هذا كله أن الأساس في اختيار المرأة هو الدين، فإذا كانت مُطلّقة أو أرملة وأكثر تديناً من غيرها، فهي أولى بأن يتزوج المرء منها، وهذا لا يُنافي الغيرة وكمال الرجولة.

أما حديث جابر الذي فيه: «فهلأ بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتلاعبها وتلاعبك»

فليس فيه منقصة من شأن الثيب؛ لأن النبي ﷺ قد بين فيه ما تفضل به البكر على الثيب وهو أنها تكون أقرب إليّ المرح والمزاح.

ولكن هل هذا الأمر يُعدُّ مسوغاً للحطِّ من قدر  
 الثَّيِّبِ والتَّنْقُصِ من شأنها، أو أنه يجعل المرء يترك  
 ذات الدين والصَّلاحِ إلى من هي أقل منها؛ لأنَّها  
 بَكْرًا؟

فارجوا أن يُصحَّحَ النَّاسُ أفكارهم، ولا ينساق  
 أهلُ الفَضْلِ والصَّلاحِ مع تقاليد وعادات المجتمع  
 الفاسد، وأن تكون نظرتهُم للأُمورِ وِفْقَ ما جاء في  
 شرع الله عز وجل .  
 والحمدُ لله ربِّ العالمين .

كتبه

حمادة أحمد إسماعيل